

عصر الدولة القديمة

مملكة منف

(الأسرة الأولى 3200 ق.م : الأسرة السادسة 2400 ق.م)

تأليف : حازم إسماعيل السيد

إسماعيل ، حازم
ممالك الذهب - تأليف حازم إسماعيل
ط ١ القاهرة مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨
١٦ صفحة ٢٤ سم
تدمك ٣- ٣٣- ٦١٦٩- ٩٧٧
١- قصص أطفال
٢- قصص عربية
أ- العنوان : ٨١٣,٠٢
رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٩٥٢٣
الترقيم الدولي ٣- ٣٣- ٦١٦٩- ٩٧٧

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ شارع إبراهيم خليل - المطرية
٠١٢٩٨٧١٢٣٧ - ٢٢٥١١١١٠

صديقي .. صديقتي ،

هل سافرت يوماً عبر صفحات كتاب؟ هل أطلقت يوماً عنان خيالك
فسبح بك في بحار وأنهار ، وحلق بك في أودية ووهاد¹ ؟ ، هل داعبت
خيالك يوماً فكرة فتحررت من قيود بدنك وانطلقت هائماً في الآفاق؟
ها أنا أدعوك لتسبح في بحري وتطوف بسمائي وتغوص
بأعمائي .. دعني أقود روحك وأكون مرشدها وحاديها عبر دروب
عالم جميل من الخيال بغير حدود ولا أسوار .. ولتشهد معي أحداثاً
عجيبة أبطالها من طراز أعجب في عوالم غريبة يحركها الخيال
وتنسج ثوبها الأحلام .

أعزني عقلك وحواسك وانطلق معي ..

ها نحن ننساب في خفة الريح حتى وصلنا إلى مبنى قديم قابع في
رقعة هادئة من المدينة فلما بلغناه انطلقنا سريعاً عبر بوابته ، وفي
لحظة أو تكاد وجدنا أنفسنا في ردهة واسعة يتوسطها مكتب صغير
ومنضدة كبيرة وأخرى صغيرة متناثرة في نظام واضح ، فأخذت
أجول ببصري هنا وهناك لعلّي أتبين شيئاً عن هذا المكان حتى
اهتديت أخيراً إلى ما أريد؛ فقد وقع بصري على أرفف كثيرة تزدان
بكتب متعددة الأحجام متراسة فعلمت أنني في مكتبة عامة ..

¹ وها: منخفضات.

الصمت يلفّ المكان في ثوبه السابع المنسدل، وقد بدا صوتُ دقات الساعة كخطوات بطيئة رتيبة متناقلة تهيم بصاحبها في طريق اللانهاية.

نظر الموظف الجالس على مكتبه في ساعة الحائط بصبرٍ نافذ وبعد لحظات هبّ واقفا وفي رتابته المعتادة غلّق النوافذ وأطفأ الأنوار وأوصد الباب وانسلّ خارجاً ، فلفّ المكان الظلام وعاد إليه صمته الرهيب الذي لم يكن ليقطعه سوى دقات تلك الساعة التي ثارت ثائرتها فبدا إيقاعها أشدّ عنفاً وأكثر حدةً .. وفجأة دوى في المكان صوتٌ أنين متقطع ضعيف شقّ ثوب الصمت وارتجّ له المكان ..

ويبدو أن ما حدث أخرج عن الصمت أصحاب هذا المكان ودفعهم إلى الخروج من حاجر جمودهم ، وإذ بنظرات تتلاقى والسنة تتحاور .. صاح منهم من صاح، وتدافع من تدافع حتى استحال الهدوء في المكان ثورةً.

أتدرون من هؤلاء؟ .. بالطبع هم ليسوا من بني الإنسان .. إنهم أهل هذا المكان وعمّارُه .. إنهم أبطال قصتنا من ذوي الأغلفة والأوراق الذين ازدانت بهم الأرفف، وأرهقهم الخمول وطول الرقاد وما تراكم على أجسامهم من الغبار .. إنهم الكتب التي تملأ أركان المكتبة وتشكو الهجر والإهمال .. نهض هؤلاء يتساعلون عن صوت هذا البكاء فأرهموا الأسماع وتتبعوا صوت البكاء حتى اهتدوا إليه ..

كان الصوت يصدر من خلال صندوق قديم مكّس في أحد أركان المكتبة ،وبعد محاولات كثيرة أخرجوا صديقنا الباكي من بين جنبات ذلك الصندوق..لقد كان صديقنا الجديد واحداً من ذوي الأوراق والأحبار ؛ قد استحال ركاماً متهاكاً تمزقت أوراقه وتآكلت أطرافه واندرس غلافه؛ فغدا مريضاً ضعيفاً ..

تساءل الجميع من هذا الذي تهرى غلافه وضاعت ملامح عنوانه فلم تعد تتبين حروفه لراءٍ وعند أصحابنا هؤلاء تتحدّد هويّتهم من عنوان أغلفتهم لذا أصبح من العسير عليهم تعرف شخصيته والكشف عن هويته ،وفي حزن عميق وصوت يخنقه البكاء تحدّث بطلنا فقال:

- أتدرون من أنا؟ أنا جكم ..حامل تاريخكم وماضيكم ..

- وما يبكيك يا جدنا؟

- في الحقيقة ، لا أعرف أعلى الهجر والإهمال أبكي أم على سوء الحال والنكران؟

- ومن الذي تتكرّر لك وأهملك؟

- لقد أهمل الكثيرون وجودي وتغافلوا عني ونسوا أنني أنا الذي أصنع للأمم والشعوب حضارتنا، من عرف لي قدرتي؛ فاز

،ومن أهملني ؛ خسر، وكيف لا أبكي على أمة خسرت
ماضيها فضااع حاضرها ومستقبلها!

- كلنا آذان مصغية، تحدث يا جدنا لعلك تجد في ذلك سلوكك.

تماسك صاحبنا وسار متناقلا ينوء بأوراقه حتى استوى على
منضدة القراءة وطوى بعض صفحاته وبدأ يروي قصته ..

- أبنائي وأحفادي ،

سأروي لكم قصتي التي تحكي معانيها عظمة أمتنا وتاريخنا
التليد¹ وتجربتي بحكم سني- التي تأرجحت فيها حياتي بين
السعادة والشقاء، وأول ما أرويه من قصتي أحداثاً وقعت منذ أقدم
الدهور .. على أرض مصر ..

فما إن جفت الهضبة واستحالت غاباتها وخضرتها الدائمة إلى
صحراء قاحلة ، حتى نزل المصري القديم إلى وادي النيل حيث
الاستقرار فعرف الزراعة وتربية الحيوان، وبدأت القرى تتكوّن
وبدأت مظاهر الحياة الاجتماعية تتكامل؛ فظهرت الأقاليم التي

¹ التليد : القديم.

ضمت إليها هذه القرى ، وبدأ الصراع بين حكام هذه الأقاليم إلى أن اندمجت أقاليم الشمال معاً في مملكة واحدة، والأمر نفسه حدث في مملكة الجنوب، وظل الأمر هكذا حتى ظهر الملك "ميناً" (نارمر) فوحد المملكتين وكان بذلك أول ملك يحكم مصر ويؤسس أول مملكة بها والتي عرفت في تاريخ مصر باسم (عصر الدولة القديمة) وهكذا أسس الأسرة الأولى في عصر الأسرات التي يؤرخ لبدائها بعام 3200 ق.م وأنشأ عاصمة البلاد (من نفر) أو السور الأبيض التي عرفت فيما بعد بمدينة منف.

- صف لنا يا جدنا هذه المدينة وأحوال أهلها ومعيشتهم.

تقع مدينة منف القديمة مكان ميت رهينة (بالقرب من البدرشين حالياً) وها هي بعد خمسة آلاف عام وقد بدت خاوية على عروشها .

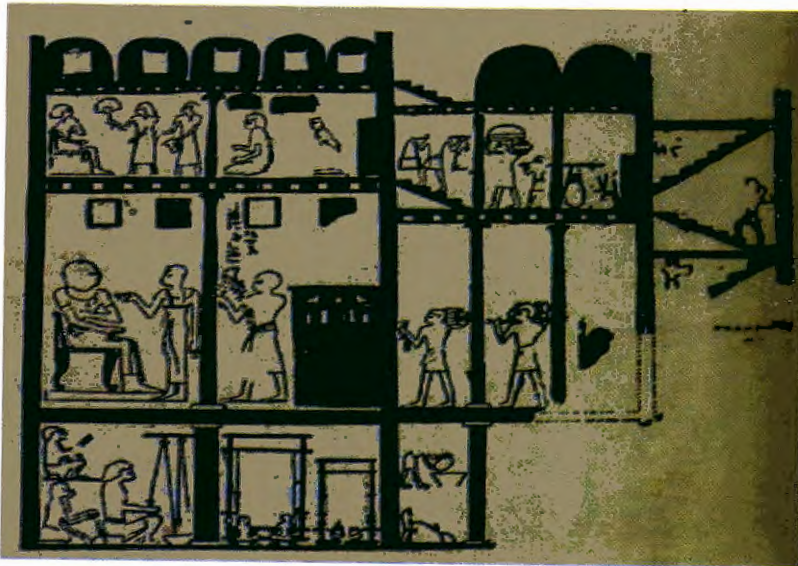
وبدأ يصفها لهم فسرت كلماته في هذه الأطلال كسريان الدم في الأوصال حتى بدت وكأنها بعثت فيها الروح من جديد .

كانت منف وقتها العاصمة وكبرى المدن، يحيط بها سور كبير، وتتقدم واجهتها بوابة ضخمة يقوم على حراستها هيئة شرف من جند مصر بزيهم المميز .

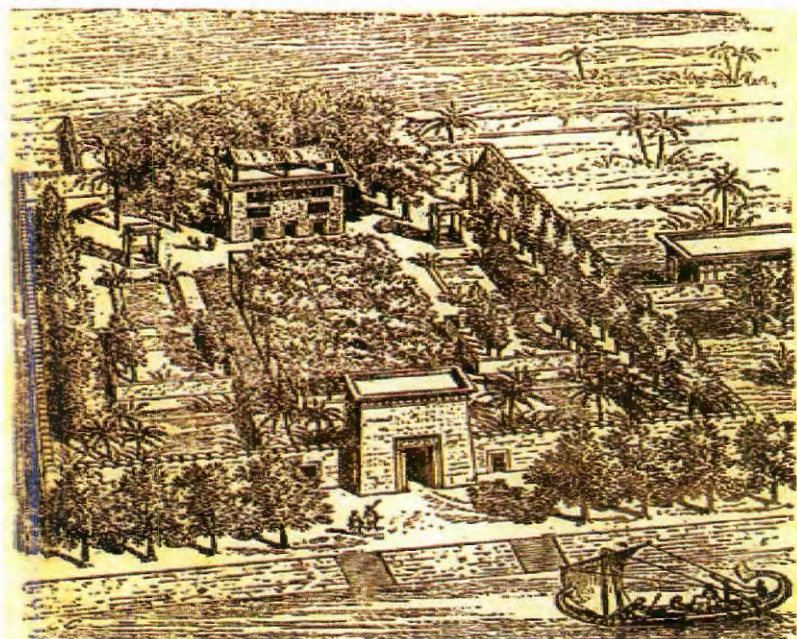


فإذا دخلنا المدينة ؛
رأينا شوارعها وقد
تراصّت من حولها
الحوانيت البسيطة التي
يمتلكها أصحاب
الحرف والصناعات
كصانعي النعال وبائعي
المنسوجات
وغيرهم وبيوت أهل
المدينة بسيطة البناء

مبنية من الطوب اللبن وهي غالباً لا تتجاوز الطابقين وهي قليلة
الحجرات تضم أثنائها بسيطاً كالحصر والمقاعد الخشبية والفرش



البسيط، أما مساكن النبلاء والأثرياء فكانت راقية عظيمة البناء تحيط بها من الداخل الحدائق والبرك الصناعية . والأسرة تحيا حياة هادئة يسودها التعاون والمودة ، فالمرأة تُعاون زوجها في أعمال بسيطة حيث تغزل الكتان والصوف وتصنع الأواني الفخارية وكان الفلاح يعمل في حقله طوال اليوم فيزرع القمح والشعير لعمل الخبز، ويزرع الكتان لعمل الملابس ، كما كان يزرع ما يأكل كالخضر والعدس والفاول والفواكه والبصل والعنب، وكان يستخدم آلات زراعية كالمحراث والشادوف ، ويُعنى بتربية الماشية والدواجن ويسمنها ويولياها اهتمامًا كبيرًا .



منزل من منازل النبلاء



عامل يبذر حَبًّا بالمحراث (مقبرة تي بسقارة)



١٦ — الشادرف



فلاح يلقم الإوز (مقبرة تي بسقارة)



فلاح يلقم ثورًا



٧ — صانعو التماثيل

وكان في المدينة صنّاع يعملون في كثير من الحرف البسيطة، و
عادتهم أن يحل الولد مكان أبيه فيرث عمله وصنّعته. وتقام بها سوق



عمال يعصرون العنب

أسبوعية يحضرها أهل
القرى المجاورة لبيعوا
ويشتروا الخضروات
والفواكه والأسماك
والدواجن والماشية
وكانت المقايضة هي

النظام المتبع في البيع والشراء.

وكان معبد بتاح إله منف يقع في مكان الصدارة من المدينة يذهب إليه



سوق من الدولة القديمة

أهل المدينة للعبادة وتقديم القرابين ، كما كان صبية المدارس يذهبون إلى مدرسة القرية الملحقة بالمعبد وقد علقت في أعناقهم ألواح من الورق يدونون عليها ما يتلقّونه من العلوم وفي أيديهم أقلام الغاب والمحابر ذات المداد الأسود فيتعلمون القراءة والكتابة والحساب والفنون المختلفة ويتدربون على الألعاب الرياضية والسباحة ، أما أبناء الأمراء والنبلاء فكانوا يتعلمون في مدارس خاصة تلحق بالبلاط الملكي.

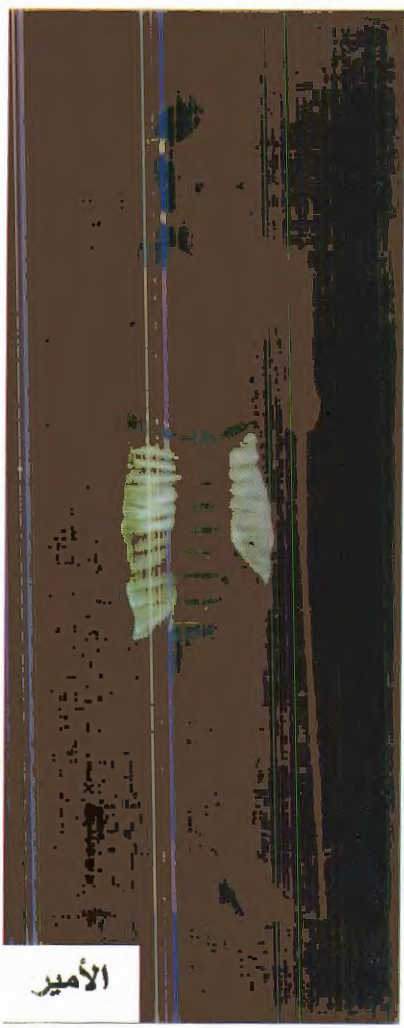


الطلاب في المدارس مع معظمهم

وكان أفراد الشعب يتفاوتون في زيهم فكان الملك يلبس أفخر
أنواع الملابس المحلاة
بالذهب، وكذلك الأمراء .



الفرعون



الأمير

أما الكاهن فكان يرتدي ملابس من الكتان الناعم المزين بجلد

الفهد، أما الجنود فكانوا يرتدون سترة من الكتان الخشن ودرع وعصا من الخشب.



الكاهن



الجندي

وفي مكان منيع من المدينة يقوم عليه عشرات الحراس كان ينتصب قصر الملك شامخاً وكانت ترسو على شاطئ المدينة مقابل القصر السفن التي كان يرسل فيها حكام الأقاليم الغلال والكتان أو التي تفد من أقطار بعيدة وتحمل الصمغ والأبنوس والعاج والتوابل والعطور، كما كانت بلاد النوبة ترسل جزيتها من الذهب والفضة كل عام إلى خزانة فرعون في منف.



وكان الحكم يدار بواسطة الحكومة التي كان يشرف عليها الملك والوزراء وكانت تعجّ بالموظفين العاملين أو أصحاب الشكاوى من الجماهير أو المعتدين الذين يأخذون عقابهم في نظام صارم دقيق، وكان دار القضاء يديرها أحد الوزراء بينما يتولى الملك نفسه الإشراف الأعلى عليها لذا كان يسمى بسيد القضاء الأعلى.



- وبم كانت تشتهر مدينة منف؟

- كانت منف في عهد الدولة القديمة في أوج نهضتها وأكثر ما كانت تشتهر به هو صناعة الأواني والتماثيل والمصنوعات المرمرية التي



يقبل على اقتنائها الملوك والأمراء، وقد برع في هذا العمل فئة من الصناع كانوا يجلبون المواد الخام من مقالع مصر الوسطى ، كما كانت تزدهر فيها صناعة الرخام والجرانيت الذي كانوا يجلبونه من محاجر أسوان وينقلونه عبر النيل إليها لصناعة التوابيت التي تبقى بقاء

تمثال من الدولة القديمة

الزمن .

كما كانت تزدهر فيها صناعة النحاس الذي كانوا يستخرجونه من جبال سيناء ثم يقومون بصهره في أفران خاصة ثم يصبّونه في قوالب لصنع الأواني المختلفة كما عرفوا صناعة الذهب الذي كانوا يستخرجونه من مناجم البحر الأحمر ويقوم على هذه الصناعة صناع مهرة ويتبعون الطريقة نفسها التي يعمل بها رجال الصناعة الآن وكان للملك أبناء يزنون القدر المنصرف من الذهب ويدوّنونه ، كما

كانوا يجيدون
صياغة الفضة .



الصاغة

أسئلة

- س1: من أول ملك وخذ مصر وأقام مملكة بها ؟
- س2: ما الموقع الحالي لمدينة منف ؟
- س3: ما أهم المحاصيل التي كان يزرعها الفلاح المصري القديم ؟
- س4: ما أهم الآلات الزراعية التي كان يستخدمها الفلاح المصري القديم ؟
- س5: ما أهم العلوم التي كان يتلقاها طلاب مدارس منف ؟
- س6: بم كانت تشتهر منف في مجال الصناعة ؟
- س7: أين كانت تقع المناجم التي استخرج منها صناع منف الذهب ؟